من «مهرجان بيروت للشرائط المصورة»، و«مهرجان بيروت للأفلام الوثائقية»، و«أسبوع الفيلم الألماني»، و«مهرجان مسكون لأفلام الرعب والخيال العلمي»، وعاد «مهرجان الفيلم العربي القصير» ليحتفي بنسخته الخامسة عشرة، وكذلك «مهرجان طرابلس للأفلام».

- الأفلام اللبنانية تخترق

كما تمكنت الأفلام اللبنانية رغم ركود حركة الصالات المحلية، بسبب الأوضاع الضاغطة للبلاد، من أن تخترق وتبرز عربياً وعالمياً، بعضها حصد جوائز في مهرجانات، أو تصدر مواقع متقدمة، مثل فيلم «دفاتر مايا» للمخرجين جوانا حاجي توما وخليل جريج الذي نال جائزة سعد الدين وهبة لأفضل فيلم عربي، في «مهرجان القاهرة السينمائي الدولي». وهو حكاية فتاة تعيش في كندا، تتلقى ليلة الميلاد، دفاتر وأشرطة، وصوراً قديمة كانت قد أرسلتها إلى صديقتها المقربة في بيروت. وارتأت عائلة هذه الصديقة التي توفيت أن تعيد إليها الأغراض التي ما إن تصل إليها حتى تفتح لها نافذة على بيروت الثمانينات التي كانت غارقة في الحرب. برز أيضاً فيلم كيفية تحكم المنتجين والممولين بكتاب السيناريو والمخرجين. وفيلم لارا سابا «ع مفرق طريق» حصد جائزة «مهرجان مالمو» في السويد، من كتابة جوزفين حبشي، يتناول قصة رومانسية كوميدية تدور في لبنان. وحظي فيلم المخرج إيلي داغر «البحر أمامكم» بعرضه في «مهرجان كان السينمائي 74» ضمن تظاهرة أسبوعي المخرجين، متنافساً لنيل الكاميرا الذهبية.

ورشحت وزارة الثقافة فيلم «كوستابرافا» لتمثيل لبنان في مسابقة الأوسكار عن فئة أفضل فيلم أجنبي. الفيلم شارك في مهرجانات عالمية منها «سينيميد» و«البندقية» و«تورونتو»، إخراج منية عقل، وتؤدي الممثلة والمخرجة نادين لبكي دور البطولة فيه إلى جانب صالح بكري.

نجدة فرنسا والمغتربين

لبنان في الاختبار الصعب، ليس وحيداً، تضافرت الجهود الثقافية، لدعمه من جهات عدة، «اليونيسكو» تجمع التبرعات لترمم المباني الأثرية، «متحف سرسق» وجد تمويله أيضاً. مغتربون محبون للفن لم يبخلوا وأجياله منذ عام 1950 إلى اليوم. 100 عمل لـ55 فناناً، من ثلاثة أجيال بينهم لبنانيون، وعرب وفرنسيون، رسموا في لبنان ومن وحيه. في «معهد العالم العربي» أيضاً أقيمت أمسية موسيقية، بعنوان «بعلبك يا حبي» بمبادرة من عازف البيانو سيمون غريشي «بهدف جمع التبرعات» لـ«مهرجانات بعلبك الدولية».

حضر لبنان في المعرض الدولي السابع عشر للعمارة - بينالي البندقية، من خلال مشروع يحمل اسم «سقف للصمت» للفنانة المعمارية العالمية هلا ورده. ونظمت على هامش العرض، حملات توعية، بإعادة تأهيل التراث المعماري والثقافي المتضرر في بيروت.

ويشارك لبنان في «البينالي الدولي للفن المعاصر» في البندقية عام 2022، رغم كل الصعاب، بفضل معونة «الجمعية اللبنانية للفنون التشكيلية»، وتحت إشراف وزارة الثقافة حيث أعلن عن اختيار الفنانين الموهوبين، أيمن بعلبكي المقيم في لبنان ومنى ربيز المغتربة، ليمثلا بلديهما، بجناحين في هذه المناسبة.

مؤسسة بوغوصيان، التي بحوزتها وقطع لفنانين لبنانيين من جميع الأجيال، تم إنتاجها في السنوات الأخيرة، لفتح بعض الآفاق المحتملة.

روايات وترجمات وشعر

كتب عديدة صدرت. الوضع الحرج لم يمنع «دار الآداب» من متابعة إصدار ترجماتها لروايات عالمية: ماريز كزندي «انتظار الطوفان»، وهاروكي موراكامي «يوميات طائر الزنبرك»، ويوكو أوغاوا «شرطة الذاكرة»، وجيمس جويس «صورة الفنان في شبابه»، وإيزابيل الليندي «صورة عتيقة»، وروايات أخرى. كما أصدرت لجوخة الحارثي «حرير الغزالة»، و«ليليات رمادة» لواسيني الأعرج، وغير ذلك. «دار الجديد» مالت، إلى جانب الورقي، لنشر كتبها افتراضياً، بينها ثلاثة كتب للدكتور محمد الرميحي، و«الفظيع وتمثيله» لياسين الحاج صالح و«بعيون النساء» لعزة شرارة بيضون. وأصدرت خالدة سعيد عن «دار الساقي» «فضاءات 2» والشاعر شوقي بزيع «مسارات الحداثة» والمخرج هادي زكاك «سيلما طرابلس»، والأب جاك يزوها أحد»، ولعباس بيضون «الحياة تحت الصفر» وعقل العويط «الرابع من آب 2020».

غيب هذا العام كباراً في الحياة الثقافية اللبنانية: الموسيقي الألمعي إلياس الرحباني، والروائي القدير جبور الدويهي، والسينمائي المناضل برهان علوية، والفنانة الشاملة ايتل عدنان، والناقد ومؤسس متحف «مقام» سيزار نمور. والكاتب الناشط لقمان سليم الذي قتل غدراً تاركاً وراءه مؤسسة «أمم» الثقافية التي تعمل على استمراريتها شقيقته الأديبة والناشرة رشا الأمير.

لم يكن العام بهيجاً، رغم ذلك فإن ما أنجز هو فعل مقاومة واستبسال، ما يجعل العاملين وراء كل كتاب أو فيلم أو مسرحية أو معرض، جزءاً من حركة إعادة ضخ الأمل في عصب بيروت. فرغم كل شيء، ستظل «المختبر الفعلي الثقافي والفني للمنطقة العربية»، بحسب الدراسة المهمة التي صدرت بالتعاون بين «المورد الثقافي» و«المعهد الألماني للدراسات الشرقية» في بيروت، وحررتها حنان الحاج علي وناديا فون مالتسان، تحت عنوان «نظرة حول السياسات الثقافية في لبنان».

بدأت تترسخ منذ حصول باريس على «نظام الامتيازات» من العثمانيين أيام لويس الرابع عشر

100 عام من العلاقات الفرنسية - اللبنانية

باريس، «الشرق الأوسط»

صدر حديثاً في باريس عن دار نشر «لارماتان» كتاب بالفرنسية تحت عنوان «فرنسا ولبنان 1920 - 2020 (مائة عام من التضامن)»، للدكتور ميشال شهدان خليفة، الذي يتناول فيه مسار السياسة الفرنسية المتبعة في لبنان منذ تأسيسه لغاية الرئيس الحالي إيمانويل ماكرون.

يشير الكتاب إلى أن علاقة فرنسا بلبنان بدأت تترسخ منذ حصول باريس على «نظام الامتيازات» من الإمبراطورية العثمانية، حيث عمد الملك لويس الرابع عشر إلى تعيين لبنانيين مسيحيين موارنة من أسرة آل الخازن قناصل له لدى لبنان، بهدف تشجيع المبادلات التجارية بين بلاده والإمبراطورية العثمانية، مما أدى فيما بعد إلى توثيق الروابط بشكل كبير بين مسيحيي لبنان وفرنسا.

وقد شجع حاكم لبنان، الأمير الدرزي فخر الدين الثاني المعني الكبير، هذا التقارب الفرنسي - اللبناني؛ إذ قدم للتجار الفرنسيين مستودعاً كبيراً في صيدا عُرف بـ«خان الفرنج»، لا تزال آثاره ماثلة حتى يومنا. لكن الامتيازات التي حصلت عليها فرنسا أثارت حفيظة بريطانيا، الدولة العظمى المنافسة لها. فطالبت بالحصول على امتيازات مماثلة، مما أدى، ومنذ ذلك الحين، إلى خصومة عنيفة بين باريس ولندن، لدرجة أن استقلال لبنان سنة 1943 تحقق سريعاً نتيجة هذه المنافسة.

ويوضح الكاتب أن من بين الأهداف الرئيسية لفرنسا من إعلان دولة لبنان الكبير سنة 1920 كان الوصول إلى منابع النفط في المنطقة، بعد أن تبين لفرنسا خلال الحرب العالمية الأولى حاجتها الماسة إليه، إضافة إلى رغبتها في إنشاء «كيان للأقليات الدينية والإثنية» في الشرق الأوسط، خصوصاً للمسيحيين.

ويضيف أنه خلال مرحلة الانتداب الفرنسي على لبنان، حصل اصطدام بين بطريرك الموارنة والمفوضين الفرنسيين الذين كان معظمهم علمانيين أدى إلى انحيازه للمعارضة السياسية التي دعمتها بريطانيا ضد فرنسا. وقد اضطر الجنرال شارل ديغول زعيم «فرنسا الحرة» إلى إعطاء لبنان استقلاله سنة 1943، بعد أن اعتبر مساعدوه مطلب الاستقلال بدعم من البطريرك بمثابة «خيانة الموارنة»، باعتباره جاء في ظروف ترزح فرنسا خلالها تحت الاحتلال الألماني.

ويلفت المؤلف إلى أن ديغول الذي عاش سنتين في لبنان ملحقاً عسكرياً خلال الانتداب الفرنسي، كان يخشى على هذا البلد من أطماع الدول المجاورة له؛ فقدم له الحماية خلال حرب 1967، وعمد بعد اعتداء إسرائيل على مطار بيروت الدولي إلى فرض حظر شامل على بيع الأسلحة الفرنسية لإسرائيل. ويلفت الكتاب إلى أن ديغول ساعد على بناء وتطوير لبنان في عهد الرئيس فؤاد شهاب عبر القروض المالية له، من أجل تحديث البنى التحتية والمؤسسات الإدارية فيه، ثم ضاعف مساعداته هذه في عهد الرئيس شارل حلو الذي كان يُعتبر أكثر رؤساء لبنان ميلاً للفرنسيين.

بيد أن الكتاب يعد حرب أكتوبر 1973، التي أدت إلى ارتفاع أسعار النفط، نقطة

غلاف الكتاب

تحول كبيرة في سياسة فرنسا تجاه لبنان، إذ دفعت بالرئيس بومبيدو إلى اتباع سياسة انفتاح كبير على العالم العربي، لدرجة أنه خشي في الانتخابات الرئاسية اللبنانية سنة 1970 وصول المرشح سليمان فرنجية المدعوم من زعماء «الحلف الثلاثي» الماروني إلى رئاسة البلاد، فحاربته باريس خوفاً من أن يسيء إلى علاقاتها مع دول الخليج النفطية؛ فقد نتج عن هذه الحرب تحوّل مهم في السياسة الدولية تجاه الشرق الأوسط، إذ إن إسرائيل التي كانت تعاني بداية من صعوبات في مواجهة القوات العربية، هددت باستعمال سلاحها النووي ضد مصر وسوريا، مما دفع بالولايات المتحدة إلى التدخل فوراً، وإرسال وزير خارجيتها إلى المنطقة، هنري كيسنجر، الذي نجح بوقف المعارك العسكرية، لكن هذه الحرب تركت انعكاسات سلبية على لبنان، إذ إن المقاتلين الفلسطينيين الذين تجمعوا فيه منذ سنة 1970، بدأوا يكثفون عملياتهم العسكرية ضد إسرائيل، في وقت تزايدت فيه الصدامات بينهم وبين الجيش اللبناني، ما ساهم لاحقاً في اندلاع الحرب اللبنانية سنة 1975.

يعتبر الكاتب أن الحرب اللبنانية التي استمرت حتى عام 1990، كانت تغطية لعملية السلام بين مصر وإسرائيل، وإغراق سوريا في مشكلات لبنان الداخلية، ملمحاً إلى أن الخوف الكبير للرئيس فرنسوا ميتران كان حصول حرب عالمية نووية بين واشنطن وموسكو بسبب الحرب اللبنانية، وقد تراجع نفوذ فرنسا بقوة في لبنان، بعد تفجير ثكنة للجنود الفرنسيين في بيروت، ودعم ميتران «اتفاق الطائف» سنة 1990، إذ اعتبره المخرج الوحيد لإنهاء الحرب اللبنانية التي تحولت في النهاية إلى حرب بين المسيحيين أنفسهم. أما خليفته جاك شيراك، فقد كان أكثر من عمل على ترسيخ الدولة اللبنانية بعد انهيارها خلال الحرب الأهلية، إذ دعم صديقه رئيس الحكومة، رفيق الحريري، في تركيز «الجمهورية الثانية»، عبر تقاسم السلطة التنفيذية مناصفة بين المسيحيين والمسلمين، وإعادة إعمار لبنان مع الحريري، عبر تنظيم ثلاثة مؤتمرات دولية في باريس لجمع المساعدات المالية له.

وبخلاف ذلك، فإن الرئيس نيكولا ساركوزي، على عكس شيراك الذي تقرب من المملكة العربية السعودية، مال إلى قطر التي كانت تبحث عن دور سياسي وإعلامي بارز لها في المنطقة، فتم تنظيم «مؤتمر الدوحة» سنة 2008 بتعاون فرنسي - قطري نتج عنه إعطاء الطائفة الشيعية في لبنان حصة أساسية في الحكومة عُرفت بـ«الثلث المعطل»، مما أعطاها نفوذاً أوسع في البلاد، إلا أن الرئيس الاشتراكي فرنسوا هولاند الذي زار لبنان سنة 2016، وصرح بأن «أمن لبنان هو أيضاً أمن فرنسا»، عاد، فحوّل وجهة فرنسا من جديد تجاه المملكة السعودية.

يبقى أن الرئيس الحالي إيمانويل ماكرون الذي صرح بأن فرنسا «لن تتخلى عن لبنان»، يرفض الانحياز إلى أي طرف في أحداث لبنان، ساعياً إلى البقاء على مسافة واحدة من الجميع، ويحاول أن يلعب دور «الوسيط الحذر» بين الأطراف المتخاصمة في لبنان والمنطقة. وهذا ما يفسر رفضه المتواصل لتصنيف «حزب الله» إرهابياً، رغم ضغوط حلفائه في الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا. ويرى الكاتب أن فرنسا، حامية المسيحيين في الشرق، تواجه اليوم منافسة روسية إذ ترغب موسكو في أن تكون هي أيضاً حامية الأقليات المسيحية في هذه المنطقة عبر المسيحيين الأرثوذكس المنتشرين فيها، مما أدى إلى ظهور منافسة بين باريس وموسكو على غرار ما كانت عليه سابقاً بين باريس ولندن.

وقد بدأت روسيا التي ركزت قواعد عسكرية لها في سوريا، تغلغلها فعلياً في لبنان بشكل تدريجي بدءاً من شماله، خصوصاً أن زعيم أكبر حزب مسيحي لبناني، جبران باسيل، يطالبها بأن تلعب دوراً أكبر في لبنان. وخلاصة الكتاب أن ماكرون يواجه اليوم في لبنان صراع «المجموعات الطائفية الأربع» المكونة له، وهي المسيحية والسنية والشيعية والدرزية، باعتبار أن كل طائفة تريد أن تبسط نفوذها في البلاد على حساب غيرها، مما أدى إلى شلل خطير في كل مؤسساته بات يهدد مصيره ووحدته.